

كتاب الصبر

كتاب الصبر

إعداد

سعيد بن محمد الشهري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والشكر له عز وجل في كل حين،
والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين و قدوتنا
أجمعين محمد بن عبد الله الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.
سأضع في كتابي هذا بإذن الله موضوعاً مهماً جداً، يتعلق
بأعمال القلوب، حيث من يمارسه تسموا نفسه إلى العلياء
وتتهاوى الأمنيات الدنيوية الزائفة أمامه، وتتسامى قلوب
المؤمنين بحلاوته، وتعلوا درجاتهم به، إنه الصبر الذي يجعل
المسلم لا يقيم للحوادث التي يقدرها الله همّاً خالداً، ولا نفساً
يائسة، ولا قلوباً خاويةً بسبب الألم والفقد ، ولكن تعترف
بفضل الله وقدرته سبحانه وتعالى، وتجعل القلوب متعلقة
ببارئها ، ومنقادة إلى خالقها، دون تدمير ولا تسخط، وتعيش
متصبرةً على القيام بالأعمال الصالحة لتنال ما عند الله في
الدار الآخرة من الكرامة والنعيم المقيم.

الفصل الأول

الباب الأول : تعريف الصبر:

الصبر في اللغة : الصبر في اللغة هو منع النفس وحبسها عن التسخط والجزع، وكذلك كبح الجوارح من اللطم على الحدود أو شق الثياب جزعاً وحنناً في حدوث الحوادث والبلايا. والصبر يكمن في ثبات القلب عند اضطراب الأحوال ويتمثل في عدم الجزع والتسخط. والنفس البشرية مثل الدابة ذات الزمام، تسير بالإنسان إلى الجنة أو النار ، والصبر في هذه الحالة هو زمام تلك الدابة إن لم يمسكها شردت. والصبر يكون في الصبر على الأوامر والصبر عن النواهي.

الباب الثاني : أدلة الصبر في القرآن الكريم :

الصبر أساس راسخ في قلوب المؤمنين ، وعون على الطاعة لله، والصبر من أخذ به فقد أفلح ونجا، والله ذكر الصبر والصابرين في القرآن في عدة مواضع ، وقد أمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر فقال تبارك وتعالى : (واصبر وما صبرك

إِلا بالله) (النحل: ١٢٧) وقال تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) (الأحقاف: ٣٥). وقال تعالى : (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) (الطور : ٤٨).

والله عز وجل أمر المؤمنين بالتحلي بالصبر قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا) (آل عمران: ٢٠٠). وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أهل الصبر قال تعالى : (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) (البقرة: ١٧٧). وللصبر الجزاء العظيم قال الله تبارك وتعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (الزمر : ١٠).

والله عز وجل جعل الصبر قريناً للشكر قال الله تعالى: (إن في ذلك لآيات لكل صبارٍ شكور) (إبراهيم : ١٠). والصبر مرتبط بالتقوى قال تعالى (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) (آل عمران : ١٨٦). وقد جعل الله الصبر مقترناً بالشكر قال الله تبارك وتعالى (إن في ذلك لآيات لكل صَبَّارٍ شكور) (إبراهيم : ٥). وقد جعله الله مقترناً باليقين قال الله تبارك وتعالى : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (السجدة : ٢٤) . وجعل الله الصبر

مقترناً بالتوكل قال تعالى : (نعم أجر العاملين، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (العنكبوت : ٥٩، ٥٨). وجعله مقترناً بالصلاة قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) (البقرة: ١٥٣). والصبر مرتبط بالاستغفار قال تعالى (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار) (غافر : ٥٥).

الباب الثالث : أدلة الصبر من السنة النبوية:

لقد دلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فضل الصبر وأهميته في حياة المسلم وكيف يجعله المسلم خلقاً رفيعاً يتحلى به، وعملاً قليلاً مهماً يتحلى المسلم به ويوجد في السنة الشريفة أحاديث كثيرة أذكر بعضها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أعطي أحدٌ عطاء خيراً وأوسع من الصبر) رواه البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم : (عجباً لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) رواه مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا أحبَّ الله قومًا ابتلاهم فمن صبر فله الصبرُ ومن جزع فله الجزعُ) أخرجه أحمد. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال :

كنتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا غُلامُ،
أو يا غُلِيْمُ، ألا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟ فقلتُ: بلى.
فقال: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ
فِي الرَّحَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشَّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ؛ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا
اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ
الْحَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ؛
لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ
عَلَيْكَ؛ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَ خَيْرًا
كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصَرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ
الْعُسْرِ يُسْرًا. مسند أحمد. المحدث : شعيب الأرنؤوط.
خلاصة الحكم : صحيح (المصدر : الدرر السنية). وقال عليه
الصلاة والسلام في حال الصابرين على التمسك بدينهم (بدأ
الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء) رواه
مسلم. الغرباء أي المؤمنون المتمسكون بدينهم إذا انفتن الناس
وضلوا عن الطريق المستقيم. وقال صلى الله عليه وسلم : (إن
السعيد لمن جُنَّبَ الفتن، ولمن ابتلي فصبر) أخرجه أحمد
وصححه الألباني. وقال صلى الله عليه وسلم : (فيبتلى الرجلُ
على حسب دينه فإن كان رقيقَ الدينِ ابتلي على حسبِ ذاك

وإن كان صلب الدين ابتلي على حسب ذاك قال: فما تزال
البلايا بالرجل حتى يمشي في الأرض وما عليه خطيئة) مسند
أحمد (إسناده صحيح).

الباب الرابع : أهمية الصبر:

للصبر قيمته العظيمة في حياة المسلم ، وهو الخلق الذي يكبح
جماح النفس عن ما يغضب الله، ويجعلها في طاعة الله منقادة
إليه، ولو علم الإنسان أن كل شيء في هذا الكون بقدر من
أقدار الله لكان عليه مصابه، لأننا مطالبون بالتسليم لقضاء الله
وأقداره بدون جزع ولا تسخط ولا تبرم، بل نقول عند حدوث
المصائب (إنا لله وإنا إليه راجعون) وهذا هو حال المسلم
يستسلم لله ويعرف حق المعرفة بأن مصيره العودة لربه فيحسن
العمل ، ويحاول أن لا يقترب المعاصي والآثام، وإن غلبته
نفسه فسرعان ما يعود ويتوب إلى الله.

والصبر ضروري في التعامل مع الناس سواء مسلم أو غير مسلم
وأن لا يكون تعامله فيه قسوة على أحد وأن لا يؤاخذ
السفهاء من الناس بل يصبر على أذاهم ويحلم على تصرفاتهم
وهو بذلك يكون من الصابرين الذين يجعلون ما عند الله هو

غايتهم ومرادهم، يقول الله تبارك وتعالى (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) (الشورى : ٤٠).

والصبر أيضا ضروري في الدعوة إلى الله لأن الناس تختلف أخلاقهم وسلوكياتهم، فلا بد من الاقتداء بسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ومعرفة صبره على قومه وعلى كل من تعرض له في دعوته ، كما حدث له وأصحابه في مكة، وحدث له في الطائف وهو يرفض أن يعذبهم الله بل يتمنى أن يخرج من أصلاهم من يوحد الله وهذا ما حدث فعلاً فنحمد الله ونشكره على انتشار هذا الدين العظيم بين الناس.

أما كفار قريش فبعدما تمادوا في الطغيان والهيمنة على مكة وسرقة أراضي المسلمين في مكة وبيوتهم، أذن الله للمسلمين بمحاربة الكافرين بعد صبر مرير، ونصر الله المسلمين في حروبهم على كفار قريش وعلى الأحزاب التي أرادت الإطاحة بالدولة المسلمة في المدينة.

الفصل الثاني

الباب الأول : أنواع الصبر

أولاً: الصبر على طاعة الله.

ثانياً: الصبر عن معصية الله.

ثالثاً: الصبر على الابتلاء.

أولاً : الصبر على طاعة الله :

إن أمر الطاعة لله يسير على من يسره الله عليه ، والمسلم في جهاد مع نفسه كي يوصلها إلى ما ينفعها في الدنيا والآخرة، وفي جهاد لهوى النفس الذي يريد أن يقودها للشهوات وعدم التقيد بضوابط الدين والمروءة. وهناك أيضاً دوافع أخرى لترسيخ الهوى في النفس البشرية من قبل شياطين الإنس والجن لتشثيت فكر الإنسان وغوايته وجره إلى الشرور والمعاصي والآثام، تارة بالدعوة للشهوات وتارة بالدعوة إلى الشبهات والانحراف العقائدي وإخراج المسلم من دينه نسأل الله السلامة والعافية.

على المسلم أن يصبر على طاعة ربه وليعلم ان في الطاعة بأنواعها من صلاة وزكاة وصوم وحج وصدقات كلها يجد فيها المسلم مشقة وتعب ولكن فلتتعب في هذه الدنيا لنتراح في الآخرة بإذن الله في جنات النعيم، نعم يا أخي الكريم هذه الحياة قصيرة ودار ابتلاءات وامتحان، ولن تطول بأحد وسيأتي الموت ولا شك على غرة ويفاجأ الإنسان فقل لي بربك على أي حال تريد أن تلقى ربك، وأي وضع تريده أن يراك.

ثانياً: الصبر عن معصية الله :

شياطين الإنس والجن تزين وتزخرف للباطل، وتدعوا الناس للشهوات والشبهات ، ومن كان في إيمانه ضعف ينجر وراء باطلهم بدافع الهوى، وما يتسق مع رغباته وهذا والله هو الهلاك، فوجب على المسلم أن يتصف بصفات الصالحين الذين إذا رأوا باطلاً أو سمعوا لغواً أعرضوا عنه قال تعالى : (وإذا مروا باللغو مروا كراما) (الفرقان : ٧٢) ، وقال تعالى : (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) (القصص: ٥٥) إن الإنسان في مجاهدة ضد الشياطين ، وضد هوى النفس ، وأول المجاهدة هي غض البصر، فالبصر هو السهم الذي ينفذ

به إبليس إلى قلب المسلم ويزين له الباطل ويحببه إليه ، والبصر للمحرم هو مفتاح لباب الشر كله، فيجب إغلاقه قبل الوقوع في الإثم قال الله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم... الآية).

وثاني المجاهدة إبعاد السمع عن المنكرات من سماع ما حرم الله، من غيبة ونميمة وزور، ودعوات للشر من الحاد وكفر، فهذا الباب يجب أن يغلق وأن تشغل النفس في العلم الشرعي وما يقرب إلى الله من ذكر وقراءة قرآن واستماع للعلماء الربانيين، والرياضة وقراءة الكتب المفيدة، أو مشاهدة البرامج واللقاءات المفيدة في التلفاز، وهذا كله يشغل النفس في الخير ويشغل فراغ الإنسان لما يعود عليه من النفع الدنيوي والأخروي.

والصبر خصوصاً عند الشباب والحد من قوة الشهوة ، يكون في الأكل البسيط فلا يأكل شرهاً ، ويكثر الأكل والشرب، فذلك يعتبر مفتاحاً لباب قوة الشهوة وعدم السيطرة عليها، وقد جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ،

وأحسن للفرج، ومن لم يستطع فعله بالصوم، فإنه له وجاء) متفق عليه ، قال الشيخ عبد العزيز بن باز الله يرجمه : " الصوم من أسباب العفة، لأنه يضعف قوة النكاح والشهوة، ويسبب غض البصر، فهو من أسباب السلامة".

ويبرز الصبر عن المعصية في قلب المؤمن لعلمه بقبح المعصية وما حرمها الله إلا لحفظ عباده من الرذائل، وكذلك يبرز الصبر بسبب الحياء من الله خصوصاً إذا استشعر المسلم مراقبة الله له والنظر إليه، وكذلك من الأسباب التي تمنع المعاصي والصبر عنها هو الخوف من ذهاب النعم ، لأن العبد إذا أذنب ذنباً ستزول منه نعمة بحسب الذنب، فإن تاب ورجع رجعت إليه النعمة قال الله تبارك وتعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد : ١١) وقال بعض السلف: أذنبت ذنباً فحرمت من قيام الليل سنة. وقال آخر أذنبت ذنباً فحرمت فهم القرآن. وكذلك على العبد أن يتذكر خشيته من الله وخوفه من العذاب للعاصين، وكذلك من الصبر عن المعصية وجود محبة الله في قلب المؤمن وتلك المحبة والحياء منه سبحانه تمنعه من ارتكاب المعصية، وعلم العبد بسرعة الدنيا وقصرها وقصر الأمل فيها وهذا حال المؤمنين الذين يعرفون

كيف ينظمون حياتهم، ويعملون لما بعد الموت فهي الحياة الحقيقية، وكل ذلك إنما يتأتى للعبد بحسب إيمانه وصلابته فإذا كان إيمان العبد قوياً أصبح صبره قوياً ولا يضره شيء من الفتن إذا استعان بالله سبحانه وتعالى واتخذ الأسباب فإنه بإذن الله سيكون حاله إلى خير.

ثالثاً: الصبر على قضاء الله:

الحياة الدنيا حياة المنغصات والبلايا والمصائب، ويوم فيها يسعد الإنسان به، ويوم يشعر فيه بالغم، ويوم يشعر فيه بالحزن، ويوم يتغشاه المرض، ويوم يفقد حبيب له وهكذا، فإذا عرف المسلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه أدرك حين ذلك مدى نعمة الله عليه وأن كل ما يصيبه إنما وراءه حكمة من الله يريد لها، فيقول أمري إلى الله ، وقدر الله وما شاء فعل. هذه هي حياة المسلم صبر على البلايا والمصائب والأمراض، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب

قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط).
رواه الترمذي (صحيح).

وليعلم المسلم أن الصبر على البلاء له أسباب: منها أن المسلم يعرف أن له ثواب عظيم، وأنه بذلك الصبر يغفر الله له سيئاته وذنوبه، وأن المسلم بصبره يكون مؤمناً بالقدر ومستسلماً لقضاء الله، وليعلم المسلم أن بعض البلايا أحياناً تكون بسبب ذنوب حدثت منه قال الله تبارك وتعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) (الشورى : ٣٠)، وكذلك على المسلم أن يعلم أن المصيبة جاءت من الله ليختبر صبره وإيمانه، فيستخرج منه عبوديته في كل أحواله.

الباب الثاني : صبر الأنبياء :

للصبر أهمية كبرى في حياة الناس، وهو خلق عظيم لا يمارسه إلا الذين أراد الله لهم الخير ودلهم عليه وصبر قلوبهم. وأول من تصبر ولم يتعجل في أمره هم الرسل مثل إبراهيم عليه السلام الذي صبر على كيد قومه حينما أرادوا حرقه بالنار لأنه حطم أصنامهم التي يعبدونها من دون الله. وصبر حينما اختبره الله بالرؤيا بذبح ابنه إسماعيل وكاد أن يفعل لولا رحمة الله وجعل الذبيح كبشاً عوضاً عن ابنه.

وصبر نبي الله نوح عليه السلام حينما بقي يدعو قومه تسعمائة وخمسين عاماً وهو صابراً على أذاهم واستهزاءهم وصدودهم، وأمره الله بصنع السفينة واغرق بعد ذلك قومه الذين كذبوه، ونجى هو ومن معه من المؤمنين في السفينة. وكذلك نجى الله موسى وقومه من بطش الطاغية فرعون الذي أفسد في الأرض وقال للناس (ما علمت لكم من إله غيري) (القصص : ٣٨) وقال (ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) (غافر : ٢٩) وقال (أنا ربكم الأعلى) (النازعات ٢٤) كل ذلك وبنو إسرائيل صابرون مضطهدون في ظل طغيانه وبطشه حتى انتصر موسى عليه وعلى أتباعه

بالمعجزات التي هيأها الله له ، وآمن معه السحرة في الميدان أمام الخلق، وهذا يدل على أن السحرة أصحاب الخبرة في السحر لم يسجدوا لله إلا لعلمهم أن ما يملكه موسى من معجزة ليست سحراً بل هي حقيقة ، وأدركوا أن ذلك تأييد من الله تبارك وتعالى فهددهم فرعون فلم يبالوا لأن الإيمان وصل لشغاف القلوب، ولم يهتمهم بعد ذلك أي تهديد منه. ونجى موسى وأتباعه بعد صبر طويل، وغرق فرعون ومن معه في البحر.

وكذلك صبر أيوب عليه السلام على المرض، وصبر يعقوب عليه السلام على فراق ابنه يوسف، وصبر يوسف عليه السلام عن فتنة النساء، وصبره في السجن لسنوات.

وصبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على قومه ، حينما أتهموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون، وهو عليه الصلاة والسلام بريء من كل ذلك، وكل من سمع القرآن لا يستطيع أن يكذب أنه من عند الله، قال الله تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون، ويقولون إنا لنتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) (الصفات : ٣٥-٣٦) يعني المسألة ليست عدم علم بأن هذا الكلام وحي من الله ولكنه الاستكبار والجحود للحق

والدعوة لعدم سماعه والصد عنه. وصبر عليه السلام وحارب
من ابتداء الحرب عليه وتآمر عليه، وصبر في حمل الدعوة ،
وصبر من بعده أصحابه كذلك ونشروا هذا الدين وحاربوا من
اختار الحرب وسالموا من سالمهم.

المصادر

- ١- القرآن الكريم
- ٢- صحيح البخاري
- ٣- صحيح مسلم
- ٤- مسند أحمد
- ٥- سنن الترمذي
- ٦- كتاب الصبر الجميل في ضوء الكتاب والسنة - سليم بن عيد الهلالي.
- ٧- الصبر وأثره في حياة المسلم - الشيخ عبدالله الجار الله.
- ٨- الصبر - الدكتور صالح الخزيم.

الفهرس

المقدمة	٣
الفصل الأول : الباب الأول تعريف الصبر.....	٤
الباب الثاني : أدلة الصبر في القرآن الكريم ...	٤
الباب الثالث : أدلة الصبر من السنة النبوية ..	٦
الباب الرابع أهمية الصبر.....	٨
الفصل الثاني : الباب الأول أنواع الصبر.....	١٠
الصبر على طاعة الله	١٠
الصبر عن معصية الله	١١
الصبر على قضاء الله	١٤
الباب الثاني : صبر الأنبياء	١٦
المصادر	١٩